المعرف الرقمي DOI
https://doi.org/10.59151/.v7i2.289

افتتاحية العدد

Editorial

بقلم رئيس التحرير: د. سعيد بنتاجر

By Editor: Dr. Said Bentajar

رغم أن التفكير في مستقبل الذكاء الطبيعي ومنتجاته في سياق تطور الذكاء الاصطناعي قد كان موضوعًا للكثير من الجدل الفلسفي والثقافي في الغرب وبين المتخصصين، فإن هذا التفكير بدا أكثر إلحاحًا بعدما خرجت إلى الاستعمال الجماهيري لبعض المنتجات المعتمدة على صياغة اللغات الطبيعية، وما تبع ذلك من اهتمامٍ تخصصي وعمومي بآثار استعمال أمثال هذه المنتجات من جهة؛ وبعد المنافسة الشرسة بين الشركات في تطوير هذه الأنظمة والذهاب بها إلى أبعد الحدود. وبما أن آثار بعض هذه المنتجات قد وصل فعليًا ومنذ مدة إلى مجال البحث العلمي؛ إذ نشرت مقالاتٌ وكتبٌ صاغتها أنظمةُ ذكاءٍ اصطناعي، صار ممكنًا أن نتساءل: ما الذي سيبقى من البحث العلمي في العلوم الإنسانية والإسلامية في عصر الذكاء الاصطناعي؟ وقبل أن نقول شيئًا في الجواب عن هذا السؤال الشائك هل يحق لنا طرح هذا السؤال أصلًا؟ هل هناك تهديد فعلي؟ ما طبيعته؟ ونماذجه؟

في الواقع وعلى ضوء التطور الحالي والمنتظر في السنوات القادمة وبالنظر إلى إمكانات التعلم الآلي والعميق الذي صارت تتسم به أنظمة الذكاء الاصطناعي الذي تطوره بعض الشركات أو التي قد تطوره أخرى لاحقًا، يحق لنا أن ندق جرسَ التنبيه بأن عصر الأبحاث السائدة في الكثير من المجلات في العلوم الإنسانية والإسلامية قد ولى، ونقصد بوجه خاص تلك الأبحاث التي تعتمد على تحليل البيانات والنصوص وعلى تلخيصها وإعادة صياغتها بأساليب مختلفة. سيكون بمقدور نظام ذكاء صناعي جرى تدريبه وتعليمه استنادًا إلى نصوص العلماء والمفكرين وعموم الكتاب أن يكتب مقالات فيها «تحاليل» و«مقارنات» و«ملخصات» و«تعاليق» وغيرها. وقد يعمد بعض الكتاب، قبل ذلك، إلى التوسل بهذه

الأنظمة لكتابة مقالاتهم وترجمة أخرى وتقديمها للنشر، كما بدأ الأمر فعلًا في الأنظمة المتاحة الآن باللغة الإنجليزية وبغيرها.

على هذا سيكون الجواب على سؤالنا الأول هو أن الكثير مما يسمى عندنا بحثًا علميًا سيكون قابلًا للإنجاز من قبل أنظمة الذكاء الاصطناعي بطريقة أكثر دقة وربما أكثر شمولية. قلنا الكثير؛ لأن هذا لا يعني أبدًا القضاء على البحث العلمي الذي يتكلف به الإنسان في مجالات العلوم الإنسانية والإسلامية. ثمة مشكلات ستحد من قدرة الذكاء الاصطناعي، مؤقتًا على الأقل، على إبعاد الإنسان عن البحث العلمي في العلوم الإسلامية والإنسانية، بعضها مشكلات جزئية سيجري التغلب عليها مع الوقت وأخرى جوهرية لا يمكن التغلب عليها على ضوء ما عندنا من معطيات الآن. يتمثل النوع الأول من المشكلات في ضعف التدريب على بيانات باللغة العربية، لذلك بدت لغة المنتجات الحالية من هذه الأنظمة ركيكة وضعيفة، لكن هذا لن يدوم إذا جرى تطوير طرق المعالجة الآلية للغة العربية، من جهة؛ وتدريبها على بيانات عربية أكثر من جهة أخرى. ويدخل ضمن ذلك ضعف تدريبها على النصوص في العلوم الإنسانية والإسلامية المكتوبة باللغة العربية. وهذا يبقى أمرًا كميًا، ولا شك أن حلَّه سيكون مسألة وقت وجهد. فلنتخيل نظامَ ذكاءٍ اصطناعي جرى تدريبه على كل ما كتب في أصول الفقه الموجودة إلى يومنا، وكان هذا النظام مبنيا بطريقة التعلم الآلي العميق، وبرمج على الصياغة باستعمال اللغة العربية، كيف ستكون المقالات والكتب التي سينتجها؟ يغلب على ظني أن أكثر ما ينتج في هذا العلم على الأقل في المجلات والكتب والرسائل المعاصرة ستبدو ضعيفة أمام ما ستنتجه مثل هذه الأنظمة. كذلك الأمر في مختلف العلوم الإسلامية والإنسانية، فإذا كانت أنظمة الذكاء الاصطناعي قد نجحت في مجاراة إبداعات الفنون، فكيف ستصعب عليها النصوص المنظمة والممنهجة. ستبقى المسألة متعلقة أساسًا بالتدريب وبالبيانات المتاحة لهذه الأنظمة.

أما النوع الثاني من المشكلات التي ستجعل قدرة الذكاء الاصطناعي محدودة في الإمساك بقيادة البحث العلمي في العلوم الإنسانية والإسلامية فهي متعلقة بآليات الفهم والتأويل وتسييق الأفكار والأحكام بالوقائع والنظر الحر في المنطلقات وإلى المآلات والمقاصد. في هذه وفي جوانب أخرى من العمليات الذهنية الموجهة التي يقوم بها الإنسان في التعرف على المشكلات والتفكير في الحلول بالاستناد إلى النصوص والمواد المتاحة يتميز الإنسان بقدرة على الانتباه إلى أمور ليس الانتباه إليها من

جنس الأفعال الآلية التي يمكن أن تتعلمها الآلة. عندما وصلت إلى هذه النقطة قررت أن أسأل النظام المشهور (ChatGPT) السؤال التالي: «هل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتولى أمر كتابة المقالات العلمية في العلوم الإنسانية بدل الإنسان؟» فكان الجواب:

«نعم، يمكن للذكاء الاصطناعي (AI) أن يساهم في كتابة المقالات العلمية في العلوم الإنسانية. في السنوات الأخيرة، شهدنا تقدمًا ملحوظًا في تطوير التكنولوجيا التي تستخدم الذكاء الاصطناعي في مجالات مختلفة، بما في ذلك مجال الكتابة الآلية. يمكن للذكاء الاصطناعي أن يتعلم من البيانات والمعلومات المتاحة عبر الإنترنت ومن المصادر الأكاديمية الأخرى، ويستخدم هذه المعلومات لإنتاج مقالات علمية في العلوم الإنسانية. يعتمد نجاح هذا النهج على جودة البيانات التي يتم تقديمها لنماذج الذكاء الاصطناعي، حيث يجب أن تكون المعلومات دقيقة وموثوقة.

ومع ذلك، ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أن الذكاء الاصطناعي لا يمكنه تعويض البحث والتحليل العميق الذي يقوم به الباحثون والعلماء البشريون في العلوم الإنسانية. فالقدرة على فهم السياق الثقافي والاجتماعي والتفاعل مع البشر وتطبيق النقد والتمييز الفكري هي مهارات تميز الإنسان وتجعل البحث العلمي في هذه المجالات أكثر تعقيدًا. بالتالي، يمكن للذكاء الاصطناعي أن يكون أداة مفيدة للمساعدة في كتابة المقالات العلمية في العلوم الإنسانية، ولكنه لا يستبدل الإنسان بل يعمل بجانبه لتعزيز الإنتاج العلمي وتسهيل بعض العمليات الأساسية».

ووقوفًا عند هذا الجواب المتفائل، نثق مؤقتًا في مسألة المشاركة والمساعدة المقترحة هذه، على أن ثمة حاجة ملحة وجِدّية للتفكير ليس فقط في مسألة إمكانية استئثار الذكاء الاصطناعي بمسألة البحث هذه، بل أيضًا في الآثار المتعددة لذلك على المعرفة والفكر والوعي والإنسان في عالمنا العربي والإسلامي.

في انتظار ذلك لا زالت دورية نماء، رفقة غيرها من المجلات الفكرية تشجع الباحثين على الاجتهاد والإبداع في إجراء الدراسات الرصينة والترجمات الجيدة، ويضم العدد الذي بين أيدينا مقالات متنوعة التخصصات ومختلفة المشارب. فقد خصص د. إبراهيم بن عباس الشغدري دراسته لمسألة

«الإيجاد والإعدم في التشريع القرآني» واقفًا عند نموذج سورة النور. وقد اجتهد الباحث في تطوير فكرتي الوجود والعدم في التشريع كما عبَّر عنهما الشاطبي في كتاب «الموافقات» لتكونا علم إيجاد وإعدام في التشريع القرآني، وقد عرف الباحث الإيجاد بأنه «إيجاد القرآن الكريم مقومات التشريع التي من شأنها حفظ الشريعة وتثبيت قواعدها، بحيث تدعم التشريعات الجزئية منها، التشريعات الكلية المتمثلة في الضروريات الخمس: حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال»[1]، والإعدام بأنه «سن القرآن الكريم ما يمنع ويدفع عن التشريعات الجزئية والكلية الاختلال الواقع أو المتوقع حصوله فيها؛ بغية وقايتها وضمان تطبيقها وتنفيذها على أكمل المصالح والمنافع»، وقد حاول الباحث تقوية حجته باعتبار الإيجاد والإعدام علمًا، وفصل الكلام في ذلك بوصله بالمقاصد القرآنية، وتطبيق ذلك على سورة النور.

أما في دراسة أخرى موسومة بـ«مداخل لتطوير منهاج مادة التربية الإسلامية في ضوء حاجيات المتعلم ومطالب المجتمع: رؤية تأسيسية» قام الباحث ربيع حمو بتقديم تصوره لكيفية تطوير مادة التربية الإسلامية بالانطلاق من الحاجة الثقافية المجتمعية والتعليمية الفردية. وقد ردَّ الباحثُ الخللَ الموجود في التنظير للكيفية المثلى لتدريس التربية الإسلامية إلى خلط مفهومي متعدد الأوجه، تمثل في الخلط بين التربية الإسلامية بمفهومها العام والتربية الإسلامية بمعناها الخاص كمادة تعليمية؛ وإشكالية الجمع بين البعد العلمي المعرفي والبعد القيمي التربوي؛ وأخيرا مسألة الوصل بين الرباني والوضعي في النظر إلى تدريس التربية الإسلامية. وقد كان لذلك آثارٌ سلبية في طبيعة المادة المقدمة للمتعلمين، التي أجملها الباحث في مشكلات تمثلت في غياب الانسجام بين عناصر المادة وغياب المناسبة مع الفئة المستهدفة وضمور البعد القيمي وغياب المقاربة الكلية لصالح تدريس جزئيات منفصلة دون الصورة الكلية. وبدلًا من اقتراح تصور لمنهاج موحد يحقق الشروط المرجوة، ارتأى الباحث اقتراح مدخلين لكل رغبة في إصلاح وتطوير مادة التربية الإسلامية، وهما: التدريس بالمفاهيم لتجميع المعارف المنفصلة المجزءة في ذهن المتعلم؛ والتوسل بالمنهج التكاملي في هندسة منهاج مادة التربية الإسلامية يكون

(1) هذا تعريف إجرائي من الباحث. بناء على شرح للشاطبي ﷺ لجانبي الوجود والعدم في كتابه الموافقات (2/ 17-18). وكلامه مذكور في المتن.

جامعًا بين مختلف المعارف المناسبة. وفصل الكلام في كليهما بما يفيد تحقيق الغايات المرجوة وتجنب المشكلات المذكورة في التنظير لمادة التربية الإسلامية.

وسعى الباحث عيسى بن بها، في دراسته الموسومة بـ«أركان النظرية الأخلاقية عند محمد عبد الله دراز»، إثبات أن هذا الأخير قد نجح في تأسيس نظرية أخلاقية إسلامية معاصرة، مؤصلة في القرآن الكريم، وجامعة بين الأخلاق النظرية والعملية. وقد ارتكزت هذه النظرية، حسب الباحث، على خمسة أركان هي: الإلزام الأخلاقي، الذي يفيد أن الأخلاق (القرآنية) قائمة على فكرة الواجب الذي يخاطب فينا ملكات النفس المسؤولة عن تخليق ذواتنا وتزكية قلوبنا وتحمل فيها ذاتها إلزامًا؛ لأنها صادرة الشرع الإلهي؛ والمسؤولية الأخلاقية، ومدارها على الاستعداد الفطري لإلزام النفس والقدرة على الالتزام بواسطة الجهود الخاصة للفرد المسؤول، وهي ترتبط ارتباطا وثيقًا بالإلزام الأخلاقي وبالجزاء؛ والجزاء الأخلاقي ويقصد به تحقق الشعور الداخلي بالمتعة أو الألم بفضل التقويم الأخلاقي المستند على الإلزام والمسؤولية الأخلاقيين؛ والنية باعتبارها دافعًا باطنيًا نحو العمل الأخلاقي، وهو الوجه الداخلي للضمير الأخلاقي؛ والجهد المبدع، وهو العمل الذي فيه عزم لتحقيق كمالات الأخلاق ويكون موضوعه مقاومة قوة أو قهر مقاومة. وقد اجتهد الباحث في استخراج العناصر التفصيلية والإشكالات المتعلقة بكل واحد من هذه الأركان الخمسة. ولم يغفل الباحث الإشارة إلى مؤاخذات تبين حدود نظرية دراز الأخلاقية.

واتخذ الباحث سمير فريدي نقدَ طه عبد الرحمن للقراءات الحداثية للقرآن الكريم موضوعًا لدراسته، وقد تولى فيها الباحث استجلاء ماهية هذه القراءات وحدودها بالاستناد إلى التحليل والنقد اللذين قام بهما طه عبد الرحمن لعدد من هذه القراءات. وقد لخص الباحث الأسس المرجعية والمنهجية للقراءات الحداثية كما صنفها طه عبد الرحمن والانتقادات التي وجهها إليها والآفاق التي يقترحها.

واستعرض الباحث عبد الله بوسنينة بعضًا من أفكار لوك فيري كما كتبها في كتاب «أجمل قصة في تاريخ الفلسفة». وقد خصص الباحث المقالة للتعريف بتصور لوك فيري للحياة الطيبة أو الحياة السعيدة. وقد تابع الباحث عودة فيري إلى تاريخ الفلسفة ليجعل على رأس كل مرحلة أفقًا للحياة الطيبة أو السعيدة: ففي المرحلة اليونانية كانت السعادة تكمن في تناغم الإنسان مع الكوسموس

بواسطة التأمل؛ وفي المرحلة المسيحية، كان الخلاص الديني جعل السعادة الفعلية تكون في حياة ما بعد الموت؛ وفي المرحلة الحديثة، صارت السعادة أكثر ارتباطا بالكائن الإنساني في ذاته، خاصة باعتباره كائنا عاقلًا، لا في علاقته مع الكوسموس ولا مع حياة ما بعد الموت؛ وقد مثلت المرحلة اللاحقة انقلابًا نقديًا على المتعاليات بكل أشكالها، دينية كانت أو أخلاقية أو عقلانية، فصارت الحياة الطيبة السعيدة مرتبطة بمشروع الحياة الحرة، فتكون بذلك اختيارا حرا غير مشروط بأي شيء يتجاوزه؛ لينتهي في الأخير إلى التصور الذي اقترحه فيري نفسه، وهو أن الحب هو مفتاح السعادة، لأنه يتيح تبادل المشاعر بعيدًا عن حياة الانحياز والتعصب، وقريبًا من الاهتمام بالنوع الإنساني وعموم الكائنات.

وفي محور الترجمة، تولى الباحث مصطفى منادي إدريسي بترجمة الدراسة الموسومة بـ«الحداثة والغنوص (Gnosis): نقاش فكري ألماني بعد الحرب حول العلمنة والدين والتغلب على الماضي» ليوتام حوتام. وقد خصصت الدراسة لبحث التفاعل الفلسفي الفكري لمفكرين ألمان كبار (هم بلومنبورغ وشولم ويوناس وفوغلن) مع أزمة الحداثة التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية والتي تطلبت من الفلسفة الألمانية إخضاع التراث الحداثي التنويري في أبعاده المختلفة للتشريح والنقد. وقد انتهى الباحث إلى أن الجامع بين المفكرين الأربعة هو توسلهم بمفهوم الغنوص في مدارسة الحداثة وإبراز الحضور الديني الخفي له في تشكلها. وانطلاقا من ذلك، اتخذ كل واحد منهم مواقف مختلفة عن الآخر إزاء الحداثة، بين سعي إلى إنقاذها (يوناس وشولم) واتهام لها (فوغلن) والدفاع عنها (بلومنبورغ).

اختار الباحث ناصر النعيمي ترجمة نص جون هوفر المعنون بـ «علو الإله وتحيزه: عقلانية رد ابن تيمية على النفي الأشعري للجسمية عند فخر الدين الرازي». وهو النص الذي حاول فيه صاحبه بيان عقلانية الرد التيمي المثبت للجسمية في مقابل النفي الأشعري الذي عبَّر عنه الفخر الرازي في إطار النقاش الكلامي المشهور حول صفات الله. وقد كان على الباحث قبل ذلك إعادة النظر في تقسيم المقالة الكلامية بخصوص هذه المسألة إلى عقلانية، كلما كانت تأويلية اعتزالية، وتقليدية، كانت حرفية تستند على ظاهر النصوص. وقد سمح له ذلك الكشف عن عقلانية القول التيمي رغم أنه يدخل في التصنيف السابق من القول التقليدي. واستند الباحث في ذلك إلى استكشاف ما كتبه في كتاب «بيان التلبيس» من دفاع عن تحيز الإله في المكان ودحض لبراهين الفخر الرازي التي حاول فيها إبطال الجسمية والتحيز.

وفي سياق متابعة الأنشطة العلمية التي تقوم بها الجامعات والمؤسسات البحثية، حوى هذا العدد تقريرين لنشاطين علميين منفصلين انعقدا معًا بالمملكة المغربية، يتعلق الأول بـ«الندوة العلمية الثالثة في موضوع: قضايا المصطلح بين التأويل والتوظيف والترجمة» الذي نظمه مختبر الفكر الإسلامي والترجمة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن مسيك، بتعاون مع المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وذلك يومي 09 و10 مايو 2023، بفضاء عبد الله العروي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، جامعة الحسن الثاني/ الدار البيضاء، المغرب، وتولى الباحث زكرياء عريف مشكورًا بصياغة هذا التقرير؛ بينما تعلق الثاني الذي تولى إعداده الباحث يوسف عكراش بـ«ورشة خبراء لإعداد دليل منهجية التكامل المعرفي» أطرها الدكتور فتحي حسن ملكاوي، ونظمها فريق تكوين الدكتوراه «الفكر الإسلامي المعاصر وقضايا المجتمع والبيئة في العالم المتوسطي» والماستر المتخصص «الاجتهاد في قضايا الأسرة وتحليل الخطاب» بشراكة مع المركز المغربي للدراسات والأبحاث التربوية والمعهد العالمي للفكر الإسلامي يوم 21 شوال 1444هـ/ الموافق لـ 11 ماي 2023م بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

ويُختم العدد بحوار مع فضيلة الأستاذ الدكتور إلياس قويسم، نائب رئيس جامعة الزيتونة، وأستاذ علوم القرآن والتفسير بالمعهد العالي للحضارة الإسلامية، حول موضوع القراءات الحداثية للنص القرآني، أجاب فيها فضيلته على أسئلة الباحث يوسف عكراش.